الزمان والمكان في فكر محمد إقبال: بين الإنسان والقدر

تفصيل المؤلف

1-محمد وسيم غفارى (المحاضر زائر فى قسم اللغة العربية وآدابها فى جامعة نمل)

ملخص البحث

يناقش هذا البحث أحد مصطلحات الضوابط السلوكية للرواية اللغوية والحديثية وهو الموضوع أو المصنوع حيث ميز اللغويون النحويون والمحدثون بين مراتب قبول الرواية فهي متفاوتة بين الصحيح والضعيف والموضوع والمناسبة بين الحديث الموضوع واللغة الموضوعة.

الجدول الزمنى للتقديم

تاريخ الاستلام: ٢٠ أغسطس ٢٠٢٤

تاريخ المراجعة: ٢٤ أغسطس ٢٠٢٤

تاريخ القبول: ٢٨ أغسطس ٢٠٢٤

تاريخ النشر: ٣١ أغسطس ٢٠٢٤

بيان النشر والاخلاقيات

البحث Al-Bahath Search Journal

نشرته مجلة (البحث) قسم اللغة العربية وآدابها جامعة سرجودا، سرجودا، بنجاب، باكستان

المؤلفون. لم يتم الإعلان عن أي تضارب في المصالح.

هذه المقالة مفتوحة المصدر ويتم توزيعها بموجب شروط ترخيص المشاع الإبداعي (المجلد: 3، العدد: 2).

Open Access البحث Al-Bahath ISSN Online: 3007-4673 ISSN Print: 3007-4665 al-bahath.com

OJS OPEN JOURNAL SYSTEMS

الزمان والمكان في فكر محمد إقبال: بين الإنسان والقدر

محمد وسيم غفارى (المحاضرزائرفى قسم اللغة العربية فى جامعة نمل)

Abstract:

This paper explores the philosophical interpretation of time and space in the thought of Allama Muhammad Iqbal, with a specific focus on how these concepts relate to the Islamic notions of Qaza (divine decree) and Qadar (predestination). Drawing from classical Islamic philosophy, Qur'anic exegesis, and Iqbal's own poetic and prose writings, the study investigates Iqbal's critique of Greek metaphysics, his dialogue with Islamic theologians, and his adoption of insights from modern physics and psychology. Iqbal challenges the deterministic view of time as a closed system and proposes a dynamic, creative temporality in which human freedom and divine will coexist. This reimagined structure not only revitalizes the traditional discourse on divine destiny but also positions Iqbal's philosophy as a bridge between classical Islamic thought and contemporary intellectual challenges.

Keywords: Muhammad Iqbal, Time and Space, Qaza and Qadar, Islamic Philosophy, Divine Destiny, Creative Time, Iqbal's Metaphysics, Modernity and Islam, Temporal Experience, Determinism vs Free Will, Quranic Epistemology, Philosophical Theology, Islamic Cosmology

الزمان والمكان في فكر محمد إقبال: بين الإنسان والقدر

أولا: مفهوم الزمان والمكان عند محمد إقبال:

إن الزمان باعتباره كلا لا يتجزأ هو ما يسميه القرآن "التقدير" أو "القدر" وهي كلمة أسيئ فهمها كثيرا في العالم الإسلامى وفى خارج العالم الإسلامي، فالقدر هو الزمان إذا نظرنا إليه على أنه سابق على وقوع امكاناته، انه زمان متحرر من شبكة تتابع العلة والمعلول، أو ذلك الرسم البياني الذي يفرضه الفهم المنطقى على الزمان، وبإختصار أنه الزمان كما نشعر به لا كما نفكر فيه أو نحصيه".[1]

فمن خلال هذه العبارة لابد علينا أن نفهم بأن القضاء والقدر عند محمد إقبال لها علاقة وثيقة مع قضية الزمان والمكان، ففى الصفحات القادمة سنرى ماذا يعنى بالزمان والمكان؟، ما علاقة الزمان والمكان بالقضاء والقدر؟.

تعد كلمتا "الزمان (Time) والمكان (space)"من الكلمات الشائعة التي تحمل من المعاني ما قد يجعلها يلتبس على الأذهان وتحمل كلمة "المكان" الحيز، الحجم، المساحة والخلاء، أما اللغة الاصطلاحية الانجليزية فغالبا ما تعنى كلمة Space الفضاء الخارجي أي المنطقة الواقعة خارج الغلاف الجوى للأرض والتي نحسب أنها خواء، بينما هي في الواقع ليست فراغا تاما، حيث لا تخلو المسافات السحيقة فيما بين النجوم والكواكب من مقدار دقيق على الأقل من المادة علاوة على كمية كبيرة من الاشعاعات من هذا النوع أو ذاك ومع ذلك فان كلمة الفضاء تتصل دائما في الأذهان "بالفراغ" أى ما يتبقى بعد زوال كل شيء ملموس، وبالتالي يعتبر معظم الناس

[1]- محمد إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، مترجم: محمد يوسف عدس، دارالكتاب المصرى، القاهرة، ٢٠٠٧، ص٨٧

الفضاء بمثابة الوعاء الضخم الذى يستوعب داخله الكون بما يشمله من مجرات ونجوم وكواكب، وذلك يعنى أن الفضاء لا يزول بوجود المادة ولكنه "يمتلىء بها"[2].

فمفهوم الزمان ليس أمر يسير، ذلك هو من الأمور التي لم يتفق على طبيعتها وتحديد نسبته إلى المعقولات أو المحسوسات، ومن ثم كان محلا لاختلاف وجهات النظر بين الباحثينالذين يحاولون وضع حد جامع له. ذلك أننا ندرك أثر الزمان ونشهر لمروره، فما من مخلوق في هذا العالم المادى إلا ويعيش فى زمان والإنسان يمر بمراحل في حياته منذ الطفولة حتى يصل إلى الشيخوخة، كل ذلك من أثر مروره في الزمان ونحن نشعر بمرور الزمان، وترىآثاره ولكن اذا سئلنا عن تعريف الزمان فماذا نقول؟

يقول محمد إقبال: "ينبغى الإعتراف بأن المسألة ليست خالية من الصعوبة وإنها تطلب المزيد من التفكير فليس من السهل أن ندرك سر الزمان، فعبارة "أوغسطين (٣٥٤- ٤٣٠هـ)" صادقة اليوم، كما كانت صادقة يوم أن نطق بها "إنى أعرف الزمان إذا لم يسألني عنه أحد، أما إذا حاولت تفسيره للسائل فإني أجهله".[3]

فإن المتأمل في تاريخ الفلسفة يجد أن الآراء قد تباينت حول الزمان والمكان بين الفلاسفة، كل يدلو بدلوه حسب تأمله ومذهبه، ففى الفكر الفلسفي اليوناني يطالعنا "افلاطون" بأن المكان غير حقيقى وهو الحاوى للموجودات المتكثرة، كما أن الزمان في علمنا المحسوس هذا غير حقيقى أيضا، أما "ارسطو" فقد عرف الزمان بأنه مقياس أو عدد الحركة بحسب المتقدم والمتأخر، ومعنى هذا أن الزمان يرتبط من حيث أنه يعد السابق واللاحق منها، أما المكان عنده فهو سطح الباطن المماس للجسم المحوى.[4]

وفي الفكر الإسلامي نجد أن معالجة فلاسفة الإسلام لمسألتي الزمان والمكان كان لها طابعها الأصيل الذي يميزها عن غيرها من الفلسفات الأخرى، وإن وجدت بعض نقاط اتفاق بينهم وبين فيلسوف اليونان "ارسطو" فمرجع ذلك إما إلى تعداد وفى الخواطر أو منطق العلم أو السمة الغالبة على هؤلاء الفلاسفة الإسلاميين التي تميزت بها فلسفاتهم، فمنهم من غلبت عليه سمة قبول الفلسفة ومحاولة التوفيق بينها وبين الإسلام ويمثل هؤلاء "الكندى (٧٩٦- ٨٧٣م)" و "الفارابي (٣٣٩-٢٥٩هـ)"و "ابن سينا (٣٧٠-٤٢٧هـ)".

ومنهم اتجه إلى رفض هذه الفلسفة ومحاربتها وقاموا بنقدها وهدمها ويمثلهم "الإمام الغزالي (١١١١-١٠٥٨م)" ثم "ابو البركات البغدادى (٤٨٠-٥٦٠هـ) "، وهناك من غلبت عليهم سمة الدفاع عن الفلسفة واثبات أنها لاتتعارض لا مع الدين ولا مع العقل، ويمثلهم "ابن باجة(ت ٥٣٣هـ)" و "ابن رشد (٥٢٠-٥٩٥هـ)".[5]

هكذا يتضح مدى اختلاف الفلاسفة في النظر إلى الزمان والمكان، فمن زمان ومكان غير حقيقيين إلى زمان ومكان هما كل الحقيقة، من زمان ومكان منفصلين إلى زمان ومكان مرتبطين من زمان ومكان استاتيكيين إلى زمان ومكان ديناميكيين جدليين، من زمان ومكان معرفيين إلى زمان ومكان وجوديين من زمان كيفى إلى زمان كمي، ومن زمان روحي إلى زمان مادى ومن زمان أولى إلى زمان بعدى، وكذلك الأمر بالنسبة إلى المكان.

ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا:

---

[2]- المفهوم الحديث للمكان والزمان، تأليف: ب س ديفيد، ترجمة: د السيد عطاء، ط: ب الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠

[3]- إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، ص ١٠٠

[4]- للتفصيل، د على عبد المعطى محمد، مقدمات الفلسفية، القاهرة، ١٩٨٥، ص ٢٣٥

[5]- انظر للتفصيل : د.عزة محمد حسن، الزمان بين الفلاسفة والمتكلمين، القاهرة، ١٩٩٩، ص ٥٣١- ٥٣٣

"إن هذا الموضوع الزمان والمكان من أعقد القضايا الفلسفية إن لم يكن أعقدها على الإطلاق وأحفلها بالمناقشات العقلية والإتجاهات المتباينة في القديم والحديث على السواء، وذلك لأن قضيتى الزمان والمكان إنما تمثلان المركز او المحور الذى ترتبط به معظم القضايا الفلسفية الأخرى ويمسها من قريب أو من بعيد، وما يكاد الفكر الفلسفي يحصر ذاته في موضوع الزمان والمكان حتى يجد نفسه محاطا بعديد من الموضوعات الأخرى سواء في الفيزيقا أو الميتافيزيقا ".[6]

ومما يريد هذا الموضوع أهمية علاقاته المتعددة بالمسائل الكلامية والفلسفية مثل: مفهومى المكان والحركة، ومفهومى النسبية والإطلاق ومفهوم الآن ومسألة القضاء والقدروالإله، إلى غير ذلك.

ولن نتعرض لتوضيح آراء المسلمين في مشكلة الزمان وأبعادها، وإنما يهمنا أننتعرف هذه الفكرة لدى محمد إقبال:

ثانيا: الزمان والمكان بين الاصالة والمعاصرة

قضية الزمان والمكان، قضية رياضية أو علمية في الحقيقة ولكن لها ناحية فلسفية ولذا لا نستطيع أن نصرف نظرنا عنها ومحمد إقبال يعتبرها مثل الموت والحياة في الأهمية للمسلمين. لقد تناول محمد إقبال بعض الآراء في هذه القضية بالنقد والتحليل مبينا رأيه فيها:

الأول : رأى اليونانيين

ذهب اليونانيون إلى رأيين في الزمان:

الأول: لا وجود له في الخارج.

الثاني: إنه يتحرك حركة دائرية.[7]

ومن خلال رأيهم: نجد أن الزمان مجموعة من اللمحات غير محدودة، كما أن المكان مجموعة من النقاط اللا محدودة، فهذه اللمحات والنقاط لا يتصل مع بعض، وإنما قابلا للتقسيم اللامتناهي، ولكن لا يمكن أن يجتاز الوقفة الخالية بين اللمحتين أو المسافة الخالية بين النقطتين فعلى هذا لا يمكن الحركة وإنما هو فقط خدعة لنظر، ولذا يعبرون فلاسفة اليونايين لهذا الكون بأنه ساكن غير متحرك.[8]

ويعلق الدكتور محمد إقبال على هذه الآراء بقوله: "وأيا كان المقياس الذي يحكم به على تقدم حركة مبدعة فإن الحركة إذا فهمت بوصفها دائرية فقدت صفة الإبداع إذ أن العدد الأيدي ليس خلقا أبديا، بل هو تكرار أبدى".[9]

فإن النظرة إلى الزمان على كلتا الصورتين غير صواب لدي محمد إقبال، لأنهما تنتهيان إلى السكون والجمود وتخليتهما عن الإبداع والجدة، وبالتالي تجعلان العالم مستغنيا عن الله وتفتحان المجال للإلحاد وإنكار وجود الله وقدرته أيضا.

6- د-احمدمحمدالطيب،موقفابيالبركاتالبغداديمنالفلسفةالمشائية،رسالة الدكتورة بجامعةالازهر الشريف، غير مطبوعة، ص١٩٣، رقم الرسالة: ٣٦٢٠-١-٩٢١، ١٩٩٠

7- التفصيل : د-يوسفكرم،تاريخالفلسفةاليونانية،ط: درا العالم العربى، ٢٠١٢ء، ص٨٧؛ إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، ص ٢٣٥

8- د-جاويداقبال،افكارإقبال،سنگ ميل، لاهور، ٢٠٠٨، ص٩٠

9- إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، ص ١٦٣

والثاني: رأي المسلمين

لقد لقيت فكرة الزمان والمكان عند الصوفية والمتكلمين والفلاسفة المسلمين إهتماما كبيرا لدي محمد إقبال، لأن القرآن شجع المسلمين على التفكير في هذا الباب، وهو أول مصدر عندهم، حيث قال الله تعالى: وَسَخَّرَ لَكُمُ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَوَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ.[10]

ويقول الله سبحانه وتعالى في حركة الليل والنهار بأنهما آياته الكبرى:

يُقَلِّبُ اللَّهُ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ.[11]

هذه الرحابة الهائلة للزمان والمكان تنطوى على معنى التسليم الكامل من الإنسان بأن واجبه هو التأمل في آيات الله الكونية، ومن ثم اكتشاف وسائل لتحقيق سيطرته على الطبيعة كحقيقةواقعة، يقول القرآن:

أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُظاهِرَةً وَبَاطِنَةً.[12]

كما نجد بعض الأحاديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول: "لا تسبواالدهر، فإن الله هو الدهر".[13]

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عز وجل : "يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر وأنا الدهر، بيدى الأمر أقلب الليل والنهار ".[14]

ويخبرنا "الرازي" في تفسيره أن بعض الصالحين المسلمين قد علمه أن يكرر كلمةدهر أو ديهور أو ديهار.[15]

زاد على ذلك المقولة المعروفة نقل من العارفين "الوقت كالسيف " ....[16]

فهذه الأدلة تدل على أن هذه القضية الزمان والمكان لها أهمية كبيرة في الإسلاموعند المسلمين فالمسلمون أمثال "الأشاعرة" و"نصير الدين الطوسي (٥٩٧-٦٧٢هـ)".

---

[10]- النحل : ١٢

[11]- النور: ٤٤

[12]- لقمان: ٢٠

[13]- الراوي: أبو هريرة المحدث: مسلم – المصدر: صحيح مسلم – الصفحة : ٢٢٤٦ ، خلاصة حكم المحدث: صحيح

[14]- ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب التغيير باب يوم نبطش الكبرى انا منتقمون ج٨، ص ٠٥٧٤ حديث رقم ٤٨٢٦

[15]- التفصيل تفسير الرازى، تفسير صراط الذين انعمت عليهم.

[16]- العجلوني، كشف الخفاء ومزيل الالباس، ط: دار احياء التراث العربى، بيروت، لبنان، ١٣٥١هـ، ص ٣٤٢، ج ٢

"البيروني (٣٦٢-٤٤٠هـ)" فذهبوا خلاف رأى اليونانيين، فالأشاعرة، لهم الفضل الأول الذينفتحوا العقدات في هذه القضية.[17]

فذهبوا إلى أن الزمان والمكان والحركة كلها تتألف من نقط وأنات لا تقبل التقسيم إلى أجزاء أخرى. وبذلك برهنوا على إمكانية الحركة بإفتراضهم وجود "الجزء الذي لا يتجزأ" وذلك لأنه إذا كان هناك حد الإنقسام المكان والزمان فإن الحركة من نقطة في المكان إلى نقطة اخرى ممكنة في زمن متناه.[18]

فمن خلال رأى محمد إقبال ربما كانت نظرية الأشاعرة عن الزمان هي أول محاولة في الفكر الإسلامي لفهم الزمان فهما فلسفيا، فالزمن حسب نظريتهم هو تتابع "الأنيات" الفردية، ويترتب على هذا الرأى بوضوح، أنه بين كل أنين فرديين أو بين لحظات الزمن توجد لحظة غير مشغولة أى خالية، وهذا معناه أن هناك خلاء أو فراغا في الزمان.

وترجع لا معقولية هذه النتيجة إلى أن الأشاعرة قد نظروا إلى هذه المسألة من وجهة نظر موضوعية خالصة، ولم يأخذوا العبرة من تاريخ الفكر الاغريقي الذي تبنى نفس وجهةالنظر ولم ينته إلى نتيجة.

فإن فكرة الزمان بإعتباره شيئا تام الموضوعية هي فكرة تعترضها المشاكل والصعوبات، وينبغى رغم ذلك أن نعترف بأن العقل العربي العملي لم يستطع اعتبار الزمن شيئا وهميا غير حقيقى مثلما فعل الإغريق، كما أنه لا يمكن انكار أنه رغم عدم امتلاكنا عضوا حسيا لإدراك الزمن إلا أن الزمن نوع من التدفق، وله بهذه الصفة جانب موضوعييمكن تسميته بالجانب الذرى أي أن الزمن ينقسم إلى أجزاء متناهية.

هكذا ينتقد محمد إقبال وهو لا يرضى عن فكرة الأشاعرة في الزمان ولو كان إتجاه العلم الحديث في الواقع يتطابق مع رأى الأشاعرة ذلك لأن الكشوف الجديدة في علم الفيزياء عن طبيعة الزمن تفترض في المادة التقطع أي عدم الإستمرارية.[19]

فيقول أيضا:

"لذلك إنساق الأشاعرة إلى استحداث نوع مختلف من النظرية الذرية، وحاولوا التغلب على مشكلات المكان، المدرك حسيا بطريقة تشبه النظرية الذرية الحديثة ".[20]

ولو كان هذا رأي الأشاعرة فنرى نصير الدين الطوسى" و"البيروني" قريب منهم أيضا إلى حد ما، يقول محمد إقبال : " وكان الطوسى هو الذي فجر السكون الذي ساد عالم الرياضيات ألف عام، إذ أنه أثناء محاولته إصلاح نظريه اقليدس" ادرك ضرورة التخلى عن الفضاء

---

[17]- في مجمل الأمر كان الهدف من حركة الاشاعرة ببساطة هو الدفاع عن الرأى التقليدي عند أهل السنة باسلحة من الجدل الاغريقي.إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، ص ١٩

[18]- الآمدى، غاية المرام في علم الكلام – تحقيق شيخنا المحسن الشامي ، ص ٢٨٠- ٢٨١، ط: المجلس الأعلى لشؤن الإسلامية قابرة، ٢٠١٠

[19]- إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، ص ١٢٦

[20]- إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، ص ٢١٨

المحسوس، وهكذا وضع الأساس وإن كان ضعيفا لحركة الفضاء الفوقي أو الحيز الزائد في عصرنا الحالي". ومع ذلك فقد كان "البيروني" في بحثه عن فكرة الرياضيات الحديثة عن الدالة، يرى من وجهة نظر علمية بحتة عدم كفاية الرؤية الإستاتيكية للكون".[21]

فهذا كان افتراق عن الفكر الإغريقى واضحا حيث تثبت من هذه النظرية بأن وجود الكون متحرك غير ساكن، كما نعرف خلال هذه النظرية بأن هذا الكون يجرى إلى تكميل.

ومن خلال هذه الآراء نجد

أن المسلمين قاموا خلاف آراء الإغريقية في الزمان والمكان، وهذبوها.

وأن الأشاعرة هم أول الذين قاموا بتشريح الزمان فلسفيا.

ولكن هم ينظرون إلى حقيقة الزمان من خارج مثل ما فعلوا اليونانيون ولذا فإن هذه الفكرة لا ترضى محمد إقبال. ولو كانت فكرة الأشاعرة تتطابق مع العلم الحديث في الواقع ولكن كلا منهما قد فشل في إدراك الجانب الذاتى للزمن، وهما يفتقران إلى التحليل النفسي فكان من نتيجة هذا الفشل أن نظرياتهم فصلت ما بين منظومة ذرات المادة ومنظومة ذراتالزمن بلا أي علاقه عضوية تربط بينهما.

ونحن نواجه صعوبة خلال رأى الأشاعرة أيضا وهي : إذا نظرنا إلى الزمن من وجهة نظر موضوعية خالصة (يعنى النظرة من الخارج فلا نستطيع تطبيق الزمن الذري على الذات الإلهية، لأننا لا نستطيع أن نتصوره كحياة لاتزال في مرحلة التكميل.

فهذه المشاكل قد أدركها علماء الدين الإسلامي المتأخرون ادراكا عميقا، ويشير محمد إقبال إلى رأي "ملا جلال الدين الدواني (-٨٣٠ ٩١٨هـ) وهو يقول : "أننا لو اعتبرنا الزمانوعا من الفترة أو المدة التي تجعل في الإمكان ظهور الأحداث كموكب متعاقب الحركة، وأن تدرك هذه الفترة بإعتبارها وحدة، فإننا عندئذ لا نستطيع إلا وصفها بأنها حالة أصيلة للفاعلية الإلهية تحيط كل الحالات المتوالية لهذه الفاعلية".[22]

ولكن "الملا" شديد الإهتمام بإضافة حقيقة أخرى، وهى أن التأمل الأكثر عمقا في طبعية التوالى يكشف عن نسبيته، ولذلك فإن التوالى يختفى في حالة الحديث عن الذات الإلهية التي يحيط علمها بجميع الأحداث في فعل ادراكي واحد.

كما نجد "عين القضاة الهمداني (٤٩٠-٥٢٥هـ)" مشابها في هذا الموضوع بأن الماهية للزمان مختلف حسب الوجود المختلفة ، أما للوجود المادى ينشأ بدوران الأفلاك وقد ينقسم إلى الوقت ما في ماضي وحال ومستقبل، وأما الوقت لوجود الذى غير ماديا له التوالي والتسلسل مثل التوالي للوجود المادى ولكن التدفق السريع منه، فمائة سنة لوجود المادي ربما يكون لمحة لوجود الذي غير المادى على

[21]- إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، ص ٢١٩

[22]- إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، ص ١٢٨

سبيل المثال، وعندما ترتفع إلى أعلى فأعلى في سلم الكائنات غير المادية فإننا نصل إلى الزمن الإلهى بالتدرج الذي يخلو تماما وبالتالي لا يقبل الإنقساموالتتابع والتغير، أنه فوق القدم فوق الأبدية ليس له بداية ولا نهاية."[23]

هذه الصورة التى يمسيها القرآن بأم الكتاب" الذي جمع فيه كل التاريخ خالصا من شبكة التسلسل السببي في أن واحد فوق الأبدية.[24] أما المكان فاستدل "الهمداني" من آيات القرآن مثل:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍإِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَمَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ.[25]

وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِيالسَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ.[26]

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِالْوَرِيدِ.[27]

فمن خلال هذه الآيات يستدل الهمداني بوجود نوع من المكان منسوبا إلى الذات الإلهية، ولكن يجب أن لا ننسى أن ألفاظ القرب والإتصال والإنفصال التي تنطبق على الأجسام المادية لا تنطبق على الذات الإلهية، فالحياة الإلهية تتصل بالكون كله على مثال اتصال الروح بالجسد، فالروح لا هي داخل الجسد ولا هي خارجه ولا هي قريبة ولا هي منفصلة عنه، ومع ذلك فإن اتصالها بكل ذرة في الجسد هو أمر حقيقي، ولكن أي نوع منالمكان الذي يمكن إسناده للذات الإلهية المطلقة؟

فأنواع المكان ثلاثة كما ذهب إليه "الهمداني" :

١- مكان الأجسام المادية

٢- مكان الكائنات غير المادية

٣- مكان الذات الإلهية

فالمكان الإلهى هو خال على وجه الإطلاق من كل الأبعاد ويشكل نقطة التلاقي لكل اللانهائيات، يعنى مكان الإلهى وهو لامكان.

---

[23]- للتفصيل: عين القضاة الهمداني، غايه الامكان في درايه المكان، رحيم فارما نيش طهران ١٩٥٩، ص ٥٤

[24]- إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، ص ٢٢

[25]- المجادلة: 7

[26]- يونس: ٦١

[27]- ق: ١٦

فنجد رأى الهمداني بأن هذه الفكرة مستنيرة في عصر لم يكن لديه أدنى فكرة عن النظريات والآراء الحديثة في الرياضيات وعلم الفيزياء. كما فكرة الزمان والمكان لهمداني ينتج بأن الزمان الإلهى يخلو تماما من التغير أيضا.

فهذه النتائج لا ترضى محمد إقبال لأن هذه الفكرة تسلمنا إلى أن الكون الكامل غير متغير، وكما كان من المستحيل عليه اكتشاف العلاقة بين الزمان الإلهى والزمان المتسلسل المادى، وبالإضافة هذه الفكرة قد تكون خلافا لفكرة الإسلامية الأساسية عن الخلق المستمر التي تعنى وجود الكون ينمو ويتسع.

من خلال رأى محمد إقبال فإن هذا الكون متحرك غير ساكن لدى المسلمين، وهذا ما نجد عند كثير من علماء المسلمين مثل الأشاعرة" و "ابن مسكويه (٣٢٠-٤٢١هـ)" و "ابن خلدون (٨٠٨-٧٣٢هـ) و الرازى (٣١١٨٠٨-٢٥٠هـ)" و "الغزالي (١٠٥٨-١١١١م)".[28]

واكتفى بهذا القدر في فهم فكرة الزمان والمكان بالعموم خلال آراء المسلمين وأخيرا تستطيع أن نقول بأن تصور الزمان والمكان لدى المسلمين تصور المضاعفة أو التصور الثنائية حيث الزمن المسلسل الذي ينشأ بدوران الأفلاك وهى للمادة، والزمن الخالصوهي الزمن الإلهى، الذى خال عن التسلسل والتتابع. كما نجد المكان ايضا المكان للمادة وهيتشتمل عليه نقط والمكان الإلهى الذي يعرف باللامكان.

أما الرأي الأخير الذى يميل إليه محمد إقبال ويرجحه فهو رأي ابن خلدون ففكرته ذات أهمية قصوى عنده حيث فكرته تنطوى عليه من اعتبار التاريخ حركة مستمرة في الزمان وحركة خلاقة أصيلة وليست حركة مسار سبق تحديد من قبل".[29]

الثالث رأى فلاسفة الغرب

يذكر محمد إقبال بعض آراء الفلاسفة مثل : نيوتن (١٦٤٢-١٧٢٧م)" و "نيتشه (١٨٤٤ - ١٩٠٠م)" و اوس بنسكي (١٨٧٨-١٩٤٧م) و آينشتاين (١٨٧٩-١٩٥٥م) و برجسون (١٨٥٩-١٩٤١م)، ويكر عليها بالنقد وها من الآن نذكر هذه الآراء في لمحات سريعة مبينة موقف إقبال فيها وتنقيده فيما يلى : وينتقد عليها، فنذكرها إجماليا ومختصرا.

150

تعتبر فكرة الزمان عنده نيوتن فكرة ثنائية.

1- الزمن المطلق الذي يجرى بشكل منتظم.

٢- والزمان العام الذى يستخدم في حياتنا اليومية والذي معيار لنا بظاهره.

فالزمان الذي نحن نعيش فيه وهو الزمان العام ولكن في عمق هذا الزمان هناك زمان آخروهو الزمان المطلق.

---

[28]- للتفصيل: إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، ص ٢٣٢، ٢٣٣؛ الأمدى غاية المرام في علم الكلام، تحقيق حسن الشافعي، ص ٢٧١

[29]- إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، ص ٢٣٥

أما "نيتشه فيقوم مذهبه على افتراض أن كمية الطاقة في الكون ثابتة وبالتالي نهائية، فالزمن ليس صورة ذاتية بل هو عملية حقيقية لا نهائية، ولا يمكن تصورها إلا أنها دورية ولما كان الزمن لا نهائيا، فان كل التركيبات الممكنه لمراكز الطاقة قد تم استنفادها، فلا توجد أحداث جديدة في الكون، وكل ما يحدث الآن قد حدث من قبل مرات لا نهاية لعددها، وسوف يستمر في الحدوث مرات لا نهاية لعددها، فبالتالي نظام الأحداث في الكون يجب أن يكون ثابتاغير قابل للتغيير.

وينقد محمد إقبال فكرة نيتشه : بأن نوع من الميكانيكية الآلية الأكثر جمودا، أنه لا يقوم على حقيقة مؤكدة، وإنما فقط على فرض صالح للعمل في مجال العلوم.[30]

كما أن نيتشه لم يتناول بطريقة جدية مسألة الزمن، فهو ينظر إلى الزمن بموضوعية ويعتبره مجرد سلسلة لامتناهية من الأحداث التي تعود إلى نفسها مرة بعد أخرى، ومن المؤكد أن الزمن بإعتباره حركة دائرية أبدية يجعل الخلود أمرا لا يمكن احتماله على وجه الإطلاق.

فنظرية "نيتشه جبرية بل أسوأ مما تتضمنه كلمة "قسمة" فضلا عن عجزه عن تهيئة الكائن الإنساني للكفاح في الحياة يميل إلى القضاء على ميوله للعمل ويرخى من توتر الذاتعلما بأن نظرية القرآن للقدر أخلاقية في جانب منها وبيولوجية في جانبها الأخر.[31]

أما "أوس بنسكي" : الفيلسوف الروسي يعتبر الزمان سمة أو جهة لمكان يعنى أنها حركة جسم ثلاثي الأبعاد في إتجاه خارج ذاته فهذه الحركة هي الزمان في الحقيقة.

وينقد محمد إقبال هذا الرأى، ليس الزمان في فكرته حركة أصيلة خلاقة، وبالتالي ما نسميه أحداثا مستقبلية ليست أحداثا جديدة وإنما هي أشياء وجدت بالفعل واستقرت في مكان مجهول.[32]

أما "برجسون": فعنده حياة الفكرى للإنسان تنتقل من كيفية إلى كيفية أخرى، ولذا هو يقسم شعور الإنسان أو فكرته إلى جهتين : جهة الخارجية التي تتعلق بزمن متسلسل وجهة الأخرى الداخلية أو الباطنية التي تتعلق بالزمن الخالص، وهو يسمى الزمن الخالص أن او دوران فعنده الزمن الخالص هو التغير الخلاق بالحرية غير متسلسل الذي قد يختلط فيه الماضي والحال، أما المستقبل فهو خال عنه والدليل عليه لو يأتي فيه مستقبل أيضا فهذا لا يكون الخلاق بالحرية.[33]

فمن خلال نظرية "برجسون الإنسان يعيش في زمنين الماضي والحال وهو مقيد بزمن المتسلسل خارجيا ولكن يستطيع فكرة الإنسان أو شعوره أن يشاهد الزمن الخالص باطنا أو داخلا.

---

[30]- إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، ص ١٨٨

[31]- إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، ص ١٨٩

[32]- إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، ص ٧٧، ٧٨

[33]- دكتور زكريا ابراهيم، برجسون، ص ٦٤، ٤٦٥د. جاويد اقبال، افكار إقبال، ص ٩٣

أما النظرية النسبية عند أينشتاين فهي أهم نظرية في فهم فكرة الزمان والمكان بحيث هدمت أساسيات النظرية القديمة للمادة، بأن الشئى المشاهد متغير، فهو نسبي للملاحظ، إذ تتغير كتلته وشكله وحجمه بتغير وضع الملاحظ وسرعته، وكذلك الحركة والسكون أيضا نسبيان للملاحظ، ومن ثم فليس هناك شئى اسمه مادة لها وجود بذاتها كما في علم الطبيعةالقديم.

فكانت المادة بوجودها في الزمان تتحرك في المكان من خلال تصورها القديم، أما اثبتت النظرية النسبية لأينشتاين بأن الزمان والمكان مزدوج مع بعض، والكون هو النظام المحتوى بالحوادث التي تتعلق فيه كل حادثة مع حادثة الماضية.

فنظرية المادة بأن هو شيء جامد متحرك أو الجسم المتحرك الذى يحيط المكان في الخلاء وهو قائم بأصله لا يتغير بتغيير الأحوال، أصبحت هذه النظرية خياليا.

فمن خلال نظرية النسبية الزمان والمكان ليسا مطلقان ولا مجردان وإنما كلاهما اضافيان، هذه النظرية لا تهدم موضوعية الطبيعة وإنما تهدم النظر إلى المادة باعتبارها موقعا بسيطا في المكان، وأنها تجعل المكان معتمدا على المادة، فالكون طبقا لنظرية اننشتاين ليسجزيرة في فضاء لانهائي، بل هو متناه، ولكن بغير حدود، ولا يوجد بعده خلاء، فإذا انعدمتالمادة انكمش الكون إلى نقطة.

ولكن هذه النظرية أيضا تنتج إلى نظرية ميكانيكية، من حيث هذه النظرية تعتبر الزمان بعدا رابعا للمكان بدوا إنها بالضرورة قد اعتبرت المستقبل شيئا معلوما بالفعل وقد استقر كالماضي الذي لا شك فيه.

ينقد محمد إقبال هذه الفكرة فيقول: فالزمان" بإعتباره حركة خلاقة ليس له معنى في هذه النظرية، أنه لا ينقضى، والأحداث لا تقع وإنما نلتقى بها التقاءا، ولا يجب أن ننسى أن هذه النظرية تغفل بعض خصائص الزمان التي نعرفها بالتجربة، ولا يمكن القول بأنه خصائص الزمان قد استوعبتها الخصائص التي اشارت إليها النظرية لاستكمال الوصف المنظم لتلك الجوانب من الطبعية التي يمكن معالجتها معالجة رياضية، وليس بالإمكان بالنسبة لنا، ونحن من سواد الناس أن نفهم الطبعية الحقيقية للزمان كما يراه أينشتاين".[34]

فعند محمد إقبال تصور النظرية النسبية فلسفيا أهم من تصورها العلمية، لأن هذه النظرية تتعلق بصناعة الأشياء ظاهريا خلال العلم ولا يتكلم عن حقيقة الأشياء داخليا.

الزمان والمكان عند محمد إقبال:

هكذا يتبين لنا على ضوء ما سبق من عرضنا لفكرة الزمان والمكان في تاريخ الفلسفة ونقد محمد إقبال لمحات سريعة نتحدث الآن أن تصور إقبال المفهوم الزمان والمكانوعلاقتهما بالقضاء والقدر.

فالزمان ليس عنده كخط الذي خطه من قبل وإنما هو مثل الخط الذي لا يزال مستمرا، كما المكان له درجات التي تنتهى إلى مكان الله ويعرفه بلامكان.

[34]- إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، ص ٧١، ٧٢

فهو يقول : والرأي عندى أنه ليس أكثر بعدا عن النظرة القرآنية من القول بأن الكون تنفيذ في سياق الزمن لحظة سبق وضعها، والكون قابل للزيادة، إنه كون ينمو وليس منتجا مكتملا خرج من يد صانعه منذ احقاب قديمة. وهو الآن ممتد في الفضاء أشبه ما يكون بكتلة ميتة من المادة. لا يفعل فيها الزمان شيا، وبالتالي فهي لا شيء.[35]

ويذكر هذه الحقيقة في شعره قائلا:

ضياء الصبح بعد الليل آت (ومن هذين كل الحادثات)
هما في الدهر خيط من حرير تلون بالحياة وبالممات
هما إيقاع أغنية الحجاب ولحن الحق في هذى الرحاب
على وتر الخلود لهم نشاط ملم بالقرار وبالجواب
وعندهما بكل الناس علم هما حجر المحك لكل شعب
فلا تفخر بقلبك دون زيف وجرب مثلما جربت قلبي
فان هو كان زيفك مثل زيفى ولم يك لي ولا لك أي قيمة
فعيدك مثل عيدى عيد موت وحظك مثل حظى في الوليمة
وما المعنى ليومك أو ليومى بلا ليل يكون ولا نهار[36]

أما عن الطريق الصحيح الذي يمكن أن يساعدنا على فهم مسألة الزمان فهما حقيقيا رأى محمد إقبال تحليل التجربة الشعورية تحليلا سيكولوجيا دقيقا، إذ أن هذه التجربة وحدهاهي التي تظهر حقيقة الزمان.[37]

فالزمان والمكان كلاهما اضافيان وحقيقيان[38] ولكن الزمان اهم من المكان، ولو كان يوجد كل الأشياء فى الزمان والمكان ولكن العلاقة بين الزمان والمكان الذهن للجسم، الذهنهو الزمان أما الجسم هو المكان.

لأن هذا الكون يتحرك وينمو هذا الأساس للزمان أن يكون حقيقيا، ولو كان عكسا لهذا يعنى هذا الكون لا يتحرك ولا ينمو فما كانت مسألة الزمان، ويدل على ذلك قول الله :كُلِّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ.[39]

ونجد الحوار بينه وبين ملك الزمان والمكان "زروان" في كتابه رسالة الخلود، والملك يكشف له الحقيقة بأن كل التدبير الإنساني يتعلق بقدر الزمان الحياة والموت حركتا الزمان ويقع الإنس والملائكة والكون كلهم في الزمان، وهو الجزء الأخير للحقيقة، يقو ل:

---

[35]- إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، ص ٩٥

[36]- إقبال، الأعمال الكاملة، اعداد: سيد الماجد الگورى، ط: دار ابن كثير، بيروت، ٢٠٠٧، ص ٤٧٧

[37]- إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، ص ١٢٧

[38]- إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، ص ١٠٠

[39]- الرحمن: ٢٩

قال زروان أنا الدنيا قهرت
وأنا من قد ظهرت واختفيت
كل تدبير بتقدير رأيته
كل حي في شباكي قد حملته
إن بي للزهر في الغصن النماء
ولتلك الطير في الوكر الغناء
تصبح الحبة إن طرت الغصونا
وبفيضى الوصل نال العاشقونا
وأنا من لي العتاب والخطاب
أظمئ الظامي وأتى بالشراب
الحياة والممات والنشور
وأنا النار وجنات وحور
في يدي الإنسان بل كل الملائك
وبنى عالم من فيه هالك
ما قطفت من ورود فهو لي
أم ما لناظريك ينجلي
إنما الدنيا أسير في طلسمي
وتشيخ في زفير من فمي
"لى مع الله" حديث من وعاه
سرى المغمور في لبس وعاه[40]
إن أردت لى رحيلا من هنالك
"لى مع الله" اذكرن في فؤادك
أي شيء كان لي من رؤيته
قد نسيت عالمي من قدرته
عالما آخر ابدى يا ترى
أو كان عالمي قد غيرا !
بين الوان وريح قد قضيت
وإلى دنيا الكون قد مضيت

[40]- اشارة الى حديث الشريف

وأنا عن عالمي هذا انقطعت
عالما آخر إني قد ملكت
الضياع عالمي إني حزنت
من ترابي غيره ها قد وجدت
خف جسمى، ذاك روحي ما
وبقلبي زاد نور للبصر
استقر والخفايا ما عليها من حجاب
والنجوم لحنها لحن عجاب.[41]

أقسام الزمان :

ويقسم إقبال الزمان الى قسمين الزمن المسلسل والزمن الخالص:

ويتعلقان هذان القسمان بالذات الإنسانية من ناحيتين، حيث أن الذات الإنساني له جهتين جهة العمل وجهة الفكر. فتتعلق جهة العمل بزمن المسلسل كما ترتبط جهة الفكر بزمن الخالص، وبالتالي فإن الزمن المسلسل يتعلق بجهة الخارجية للإنسان كما إن الزمن الخالصيتعلق بجهة الداخلية أو الوجدان.[42]

أو بتعبير أوضح : الذات الانسانية لها جانبان : الجانب المدرك أو العارف والجانب الفاعل. ففى جانبها الفاعل تدخل الذات في علاقة مع ما نطلق عليه عالم المكان، وهي هناتكون موضوعا لعلم النفس الترابطي، أنها الذات العاملة في الحياة اليومية... الزمان الذي تعيش فيه الذات الفاعلة هو الزمان الذي نصفه بالطول والقصر، وهو لا يكاد يتميز عن المكان. ولا ندركه إلا كخط مستقيم يتألف من نقاط مكانية منفصلة بعضها عن بعض، كأنها مراحل لا حصر لها في رحلة واحدة.

وتشبه وحدة الذات العارفه وحدة النطفة التي تتجمع فيها كل خبرات أجدادها، لا بحسبانها حشدا من أفراد متعددة. ولكن باعتبارها وحدة تندمج فيها كل خبرة بالخبرات الأخرى، فوحدة الذات ليس فيها عددى فى حالاتها، فالتعدد في عناصرها هو تعدد كيفي لا كمي على خلاف التعدد في الذات الفاعلة، نعم هناك تغير وحركة، ولكن هذا التغير وتلك الحركة لا انقسام فيها، عناصرها متداخلة ولا تعاقب في طبيعتها.[43]

[41]- الأعمال الكاملة لمحمد إقبال، رسالة الخلود، ص ١٥٣

[42]- إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، ص ٢١، ٢٢

[43]- إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، ص ٨٤، ٨٥

ونستخلص مما سبق أن العقل لا يستطيع أن يمشى بدون تقسيم الوقت بالماضي والحال والمستقبل فلذا يتعلق بزمن المسلسل أما الوجدان فهو يصل إلى المقصود بلحظة بدون تقسيمالزمن ولذا هو يتعلق بالزمن الخالص.

واستدل على هذين القسمين من آيات القرآن حيث يقول الله سبحانه وتعالى:

وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ، وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِعِبَادِهِ خَبِيرًا o الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّاسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسْئَلَ بِهِ خَبِيرًا.[44]

إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ بِقَدَرٍ o وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ o[45]

وكما نجد هنرى برجسون قد سار على النهج نفسه الذي سار عليه محمد إقبال إلا أنه يجرد الزمان عن المستقبل وأن محمد إقبال يضمنه، فيقول ناقدا عليه (برجسون) يرى التجربة الشعورية على أنها الماضي الذي يتحرك مع الحاضر ويؤثر فيه، وهو يغفل أنالوحدة الشعورية لها أيضا جانبها المستقبلي، فالحياة إنما هي سلسلة من أفعال الانتباه، ولا يمكن تفسيرها إلا فى اطار مرجعية شعورية أو لا شعورية، حتى أفعالنا الادراكية تحددها مصالحنا وأهدافنا المباشرة ....

وفكره الغاية لا يمكن فهمها إلا في إطار المستقبل، لا شك أن الماضي يسكن الحاضر ويؤثر فيه ولكن عملية وجود الماضي في الحاضر ليست هي الشعور كله. فعنصر الغاية يكشف عن نوع من النظرة المستقبلية في الشعور، ذلك لأن الغايات لا تلون حالاتنا الشعورية الراهنة فحسب، وإنما تكشف عن إتجاهها المستقبلي أيضا.[46]

فعند محمد إقبال لكل تجربة شعورية لها هدف وغاية وهذه الغاية والهدف لا يتحقق إلا في اطار المستقبل والمستقبل ليس غير متعين وإنما يمكن تصوره بشكل الامكانيات المستقبلية. مع ذلك يستحسن محمد إقبال فكرة هنرى برجسون بأنه قام بتحليل مشكلة الزمانبطريقة جيدة من الآخرين.[47]

أما عمل التخليق للإله فهو في كلا الزمانين المسلسل والخالص، والدليل عليه :

الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِالرَّحْمَنُ فَسْئَلَ بِهِ خَبِيرًا.[48]

ففي هذه الآية تدل الكلمة ستة أيام إلى الزمن المسلسل.

44- الفرقان : ٥٨، ٥٩

45- القمر : ٤٩، ٥٠

46- إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، ص ٩٢، ٩٣

47- إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، ص ٨٢

48- الفرقان : ٥٩

ويقول الله سبحانه وتعالى:إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍo وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِo[49]

ففى هذه الآية تدل الكلمة كلمح بالبصر على الزمن الخالص. كما هو يسميه الزمن الإلهى في لغة القرآن اللوح المحفوظ أو أم الكتاب".[50]

كما نجد أمثله لحقيقة الزمن الخالص من التجربات الروحانية لدى الصوفية ولا حصر لهذه التجربات. ويؤكد لنا العلم الحديث هذه الفكرة فى هذه الأيام، فعلى سبيل المثال نجد: عدد ذرات النور كثير جدا حيث لوعددنا هذه الذرات في لمحة واحدة فقط ، فربما نحتاج أكثر من مليون سنة، ولكن نحن نشعرها بعمل الرؤية الواحدة أقل من ثانية، وهكذا تتغير التواتر والتسلسل أو الكثرة بوحدة في لمحة واحدة.

وأخيرا في هذا البحث يؤكد محمد إقبال قول "اوغسطين (٣٥٤-٤٣٠م)" حيث يقول : إني أعرف الزمان إذا لم يسألني أحد، أما إذا حاولت شرحه لسائل فإني أجهله.[51]

على ضوء ما سبق يتبين لنا أنأصل الحقيقة هى الروحانية، كما أن الزمان حقيقة وهو الحركة الحرة الخلاقة، اضف إلى ذالك أن الكون مستمر لتكميل وليس كامل وإنما الكون هو الاظهار لإمكانات في الزمان.

إن محمد إقبال أراد أن يجدد فكرة الزمان والمكان من خلال علوم حديثة ولذا استفاد كثيرا وقبل كثيرا من الأشياء من العلماء الهندسة خاصة من أينشتاين وهنرى برجسون. وهذاالمقتضى الأجيال الجديدة الحالية والقادمة.

ويمكن لنا الآن أن نفهم علاقة القضاء والقدر مع فكرة الزمان والمكان من خلال عبارة محمد إقبال وربما هو أول فيلسوف إسلامى الذى اكتشف علينا هذا الربط العميق بين القضيتين وهو يقول: "والزمان بإعتباره كلا لا يتجزأ هو ما يسميه القرآن التقدير" أو "القدر" وهي الكلمة أسيئ فهمها في العالم الإسلامى وفى خارج العالم الإسلامي، فالقدر هو الزمان إذا نظرنا إليه على أنه سابق على وقوع امكاناته أنه زمان متحرر من شبكة تتابع العلة والمعلول، أو ذلك الرسم البياني الذي يفرضه الفهم المنطقى على الزمان، وباختصار أنه الزمان كما نشعر به لا كما نفكر فيه أو نحصيه".[52]

فقدر الشيء ليس قضاء غاشما يعمل من خارجه، وإنما هو وسع جواني للشئ، امكاناته القابلة للتحقق تكمن في أعماق طبيعته، وهى تحقق وجودها البراني على التوالى دون شعورباكراه خارجى.

نظرية الزمان يوافق تماما لنظرية القدر لدى محمد إقبال، لأن المستقبل يوجد في الزمان بامكانات غير معينة كما لا يمكن الوجود للمستقبل المتعين في القدر. ولذا هو يعبر مسألة الزمان والمكان كمسألة الموت والحياة في الأهمية لدى المسلمين.[53]

---

[49]- القمر : ٤٩، ٥٠

[50]- إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، ص ٢٢

[51]- إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، ص ١٠٠

[52]- إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، ص ٨٧، ٨٩

[53]- إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، ص ٢١٨

نجد في كتابه جناح جبريل نظما بإسم "الزمان" حيث يتكلم الزمان بلسانه عن صفاته فهذه محاولة جميلة لمحمد إقبال في هذا النظم لكشف الأسرار عن الكون والحياة:

شعلة العمر من لهيب الثواني
اشعلتها تغيرات الزمان
غدك الطعم في حباله امس
فترفق بيومك المتفاني
يرقب الناس طالعا ذا خيال
ويخوضون في جميع الأماني
وأنا ذلك الخيال ولكن
يصعب اليوم شرح تلك المعاني
يسقط العالم الجديد بكأسى
قطرة قطرة كرشح الدنان
سبح القوم لعبة في يديهم
أنا سبحتى ليالي زماني
كل حياتها عرفت ولكن
لا اسوى بين الجميع بشأني
ولكل طريقة وسلوك
بعضها فارسي وأخرى حصاني
مرة أجعل الأعنة سوطا
مرة أجعل السياط عناني
لك من حفلة اللقاء نصيب
فإذا لم تكن فلست بجان
ليس من عادتي أخبئ كأسا
لنديم على كرامة حاني[54]

قام محمد إقبال في كتابه الأسرار والرموز" بتعرف أهمية الوقت وأقسامه، حيث يريد من أمة الإسلامية أن تنهض وتصل إلى حقيقة الزمن الخالص، كما كانت عادة أسلافها، لأن الأمة الإسلامية تورطت في عقدات الزمن المتسلسل ورضت بأن تكتفى لحياتها الأكل والشرب والنوم والاستيقاظ إلى غير ذلك ... ولكن عند محمد إقبال ليس الفرق بين هذه الحياة وحياة الحيوانات التي لم تتعرف أهمية الزمن ولا

[54]- الأعمال الكاملة لمحمد إقبال . جناح جبريل، ص ٥١٩

تستطيع أن تصل إلى حقيقة الزمن الخالص ولكن لو يشعر الإنسان أهمية الزمن الخالص ويحاول أن يصل إليه فستظهر العالم الجديد من قوته الخلاقة، ولذا الإمام الشافعي رحمه الله تشبه الوقت بالسيف القاطع وهو ينقل من الصوفية، لو عثر الإنسان على هذا السيف فينبت الأنهار من الأحجار من ضربه كما يبس الأبحار منه أيضا كما فعل سيدنا موسى عليه السلام، واستخدم سيدنا على المرتضى رضى اللهعنه هذا السيف في المعارك ونال الفتوحات.

أما الشخص الذي يعدد الزمن بأيامه ولياله فهو لا يعرف حقيقة الزمن وبالتالي هو في ضلال مبين، فأحب أن أنهى هذا الفصل بنظم محمد إقبال الذى يلخص فيه مراده من الزمن المتسلسلوالزمن الخالص :

الوقت سيف

نضر الله تراب الشافعي
سحر الألباب هذا الألمعي
فكره قد صاد نجما لامعا
حين سمى الوقت سيفا قاطعا[55]
فات خوفا ورجاء صاحبه
كفه كف كليم، ضاربه
تغدق الصخرة من ضربته
ويغيض البحر من صولته
كان هذا السيف في كف الكليم
فشا التدبير بالعزم الصميم
شق صدر البحر لمع القبس
صير القلزم مثل اليبس
وبهذا السيف يوم الخطر
زلزلت خيبر كف الحيدر[56]
ممكن أبصار دور الفلك
وتوالى نوره والحلك
يا أسير اليوم والأمس انظرا
انظرن في القلب كونا سترا

[55]- قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى : صحبت الصوفية فلم استفد منهم سوى حرفين، وفي رواية سوى ثلاث كلمات: قولهم: الوقت سيف إن لم تقطعه قطعك. وقولهم نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل. وقولهم العدم عصمة، جلال الدين السيوطي، تأييد الحقيقة العلية.

[56]- المراد من الحيدر سيدنا على المرتضي رضي الله عنه.

أنت في النفس بذرت الباطلا
وحسبت الوقت خطأ طائلا
وذرعت الوقت طولا، للشقاء
بذراع من صباح ومساء
وجعلت الخيط زنارا لكا
صرف للأصنام ندا ويلكا!
صرت يا أكسير تربا سافلا
يا وليد الحق صرت الباطلا
اقطع الزنار حرا لاتهن
شمعة في محفل الأحرار كن
أيه يا غافل عن أصل الزمان
كيف تدرى ما خلود الحيوان[57]
يا أسير الصبح والمسى اعقلن
"لى مع الله"[58] بها الوقت اعرفن[59]
كل ما يظهر من تسياره
والحياة السر من أسراره[60]
ما من الشمس أراه يوجد
أنها تفنى وهذا يخلد
و به الشمس أضاءت والقمر
وبه في العيش ما ساء وسر
قد بسطت الوقت بسطا كالمكان
وفرقت اليوم من أمس الزمان
يا شذا قد فر من بستانه
وحبيس السجن من بنيانه[61]

[57]- الحيوان : الحياة.

[58]- إشارة إلى الحديث : لى مع الله وقت لا يسعنى فيه نبي مرسل ولا ملك مقرب، ملا على القاري، الأسرار المرفوعة في الاخبار الموضوعة، ص ٣٩٢

[59]- ويريد الشاعر أن يقول أن الوقت حال الإنسان، لا ساعات الفلك.

[60]- الضمير يرجع إلى الوقت.

[61]- يقول الشاعر: انك احيانا كالرائحة لا تثبت في بستانها، واحيانا سجين في سجن بنته يد تسير مع ساعات الزمن، وتحبس نفسك فيها والوقت هو انت.

وقتنا بين الحنايا سافر
ليس فيه أول وآخر
الحياة الدهر يا من عرفا
"لا تسبو الدهر" قول المصطفى[62]
نكتة كالدر خذها رائقة
بين حر ورقيق فارقة
حيرة العربد مسيرة الزمن
حيرة الأزمان قلب المؤمن
ينسج العبد عليه كفنا
من صباح ومساء مذعنا
وترى الحر من الطين نجا
نفسه حول الليالي نسجا
قفص العبد صباح ومساء
يحرم التحليق في جو السماء
ويصدر الحر ثار النفس
طائر الأيام فيه يحبس
فطرة العبد حصول الحاصل
ليس في تفكيره من طائل
في مقام من همود راكد
نوحه ليلا وصبحا واحد
ومن الحر جديد الخلقة
كل حين، وحديث النغمة
قيد العبد صباح ومساء و
ثوى في فمه لفظ القضاء[63]
وارى الحر مشيرا للقدر
صورت كفاه أحداث الدهر[64]
عنده الماضى التقى والقابل

[62]- رواه الامام مسلم في صحيحه باب النهي عن سب الدهر، ج 1، سردار احياء التراث العربي بيروت.

[63]- لفظ القضاء والقدر، يمثل به، ويحيل الأمور عليه.

[64]- عزم الحر من القضاء. ويقول الشاعر في هذا : أن القضاء يستشير الحد فيما يفعل.

عاجل بين يديه الأجل[65]
ضاق عن معنای حرف وصدی
عجز الإدراك في هذا المدی
قلت، واللفظ من المعنی خجل
وشكا المعنی من اللفظ المحل
مات معنی في حروف يحبس
ناره يخمد منك النفس
سرغيب وحضور في القلوب
رمز وقت ومرور في القلوب[66]
إن للوقت للحنا صامتا
وله في القلب سرا خافتا[67]
اين ايام بها سيف الدهر
صرفته في أيادينا القدر[68]
قد غرسنا الدين في أرض القلوب
وجلودنا الحق من ستر الغيوب
ومن الدنيا حللنا العقدا
واستنار الترب منا سجدا
من دنان الحق صرفنا الرحيق
وهدمنا حانة العصر العتيق[69]

[65]- لا يحتل بأن شيئا قد فات وقته وأن شيئا لم يحن وقته ، بل عزمه يطوع كل وقت لما يريد.

[66]- القافية مردوفة والروی في حضور ومرور.

[67]- ابيات إقبال هذه في الوقت وفي التفريق بين العبيد والاحرار من اروع ما عرفته الفلسفة والشعر.

[68]- في هذا البيت والابيات بعده يذكر إقبال ماضي المسلمين.

[69]- اعمال الكامله، الأسرار والرموز، ص ١٧٤- ١٧٦.